



## فلاديمير تماري\*

### ذكريات عن هاني جوهريّة

لم يمض وقت طويل على كتابة فلاديمير تماري هذا النص في الذكرى الأربعين لاستشهاده صديقه المصوّر هاني جوهريّة حتى وافته المنية في طوكيو عن عمر ناهز ٧٥ عاماً. نُشر هذا النص في الموقع الإلكتروني الخاص بفلاديمير تماري، وتعيد "مجلة الدراسات الفلسطينية" نشر النص تكريماً لذكرى الفنانين الراحلين.

وقد نعت وزارة الثقافة الفلسطينية فلاديمير فائق تماري، وتضمّن النعي نبذة عن الفنان التشكيلي ومصمم الخطوط الفلسطيني الذي وُلد في القدس في سنة ١٩٤٢، وانتقلت أسرته إلى يافا، ثم هاجرت منها إلى بيروت في سنة ١٩٤٨، حيث درس الفن والفيزياء في الجامعة الأميركية (١٩٥٧ - ١٩٦١)، ليدرّس بعدها الفنون في مدرسة سانت مارتين في لندن.

وصمّم تماري في سنة ١٩٦٣ حرفاً طباعياً سمّاه "القدس"، كما صمّم في العام التالي جهازاً للرسم ثلاثي الأبعاد، قبل أن يسافر إلى الولايات المتحدة الأميركية حيث تعرّف إلى زوجته كيوكو، ليعود بعدها إلى لبنان مقدّماً أعماله لأول مرة فيه.

وعمل تماري في عدد من مدارس وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) في بيروت، رساماً للوسائل الإيضاحية، وأخرج أفلاماً عن حياة الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين هناك، إلى جانب مشاركته في إخراج فيلم وثائقي عن القدس في سنة ١٩٦٧، كما ساهم في إخراج كتاب صور فوتوغرافية عن مجزرة صبرا وشاتيلا، وفي إعداد كتاب "رسوم الأطفال في زمن الحرب".

وبحث تماري كذلك في مجال تطوير الحرف العربي، وكتب دراسات عن الخط المطبوعي، وسجّل فكرة اختراع في لندن عن الخط العربي واستخدامه في الطباعة.

عاش تماري في طوكيو حيث عمل مذياعاً باللغة العربية في إذاعة طوكيو، ورساماً لكتب الأطفال، وله شقيقتان فنانتان هما: التشكيلية فيرا تماري، ومغنية الأوبرا تانيا تماري ناصر.

\* فنان تشكيلي ومصمم خطوط فلسطيني، ولد في القدس في سنة ١٩٤٢، وتوفي في ٧ آب / أغسطس ٢٠١٧.

وسينما)؛ كمال بلاطة (رسم وفن)؛ إبراهيم  
الصوص (بيانو وتأليف موسيقي)؛ كاتب هذه  
السطور.



هاني جوهريّة في القدس بريشة كمال بلاطة، في  
أواسط الستينيات.

أعتقد أن سمير في تلك الفترة سافر لإكمال  
دراسته في نيويورك، وعرفته بعد ذلك في  
الجامعة الأميركية في بيروت قبل وفاته  
التراجيدية في أوائل الستينيات. المهم أنه في  
أثناء المشاوير التي كنا نقوم بها في شوارع  
القدس القديمة وزيارات الأهل (في بيت هاني  
تعرفت إلى أخيه الأصغر الفنان والخطاط  
رياض، وإلى والده وخالته وعمّه الرائع  
الموسيقيار والمدون واصف جوهريّة، الله  
يرحمهم) نمت بيننا نحن الشباب الأربعة صداقة  
حميمة أخوية. كنا ننكت ونضحك كثيراً، كأننا  
بذلك نحاول محو جو الانكسار والخيبة، كيف لا  
والقدس تخرقها أرض حرام ملغومة تفصلها  
عن فلسطين المنهوبة التي تعيش في مخيلتنا  
عبر القصص التي سمعناها من آبائنا عن  
فلسطين ما قبل النكبة، بل ما خبرناه في أولى  
ذكرياتنا في يافا وفي القدس، ولا أدري أين  
بالنسبة إلى الآخرين.  
أحلى ما تبقى لي من هاني عيناه بنظريتهما  
الثاقبة الضاحكة والحنونة في آن واحد. لم يكن

أربعون عاماً مضت على استشهاده،  
ونحو عشرين عاماً من  
صداقة بدأت في أيام طفولتنا في  
الخمسينيات في القدس العربية التي  
استنشقنا هواءها بغفلة تامة عن حقيقة أننا  
سنفقدنا بعد أعوام معدودة. ها هي لقطات  
سريعة بالكلمات عن هاني أقدمها من دون  
اعتذار، لأنها قد تبدو للبعض مناقضة لأسطورة  
البطولة والمثالية التي رسمها زملاؤه في الثورة  
عقب استشهاده. نعم صار هاني جوهريّة بطلاً  
حقيقياً، لكنني عرفته قبل ذلك كإنسان رائع  
عادي وفائق العادية إن صح التعبير.



هاني جوهريّة بريشة فلاديمير تماري، في أواسط  
الستينيات.

تعرفت إلى هاني أول الأمر من خلال صداقة  
مع سمير فرح زميلي في المدرسة، ذلك المخرج  
المسرحي والسينمائي العبقرى الذي مثلنا في  
أفلامه الفكاهية التي صورها هاني، على ما  
أذكر، بكاميرا ٨ مم في منزله في القدس. أفلام  
ساخرة أحدها عن جراح ينفذ عملياته بأدوات  
النجارة! وتوسعت تلك الصداقة فتمركزت على  
أشواش الفن الأربعة: هاني (تصوير فوتوغرافي

متهوراً في أي شيء، ولعل تواضعه وتماديه في إتقان تفصيلات أي عمل يقوم به كانا من أجمل صفاته. في تركيز الكاميرا مثلاً، وطباعة الصور، في حديثه وتعامله مع الناس، إنسانية صادقة خالية من أي أنانية أو خبث قلما خبرتها. بعد استشهاده كتبتُ نصاً عنه لا أذكر منه إلا لمحة ليد هاني بعد أن أخذ بيضة من قفص للدجاج خلف بيته في شعفاط قرب مصنع "الكازوز". كتبت أن البيضة استقرت في يده وبدت ناصعة البياض كأنه يحرسها. أحبه الجميع وما زالوا. عمل هاني مدة قد تكون أعواماً، مساعداً للنظاراتي إيليا الأدرنلي في محله الواقع في الزاوية أعلى الدرجات المؤدية إلى حارة النصارى وكنيسة القيامة. محل صغير في واجهته تمثال أبيض لرأس المهاتما غاندي لابساً النظارات طبعاً. السيد أدرنلي إنسان فائق الذكاء، حلو الابتسامة، له نظرية في أثر دوران الأرض في الرياح تناقشنا بشأنها، وكثيراً ما تذكرنا هاني في نقاشاتنا..

عقب سفر سمير فرح لدراسة السينما في نيويورك، استمر هاني في الاهتمام بالتصوير السينمائي، وأصابني العدوى فصرنا نناقش لقطات أفلام كنا نشاهدها في دور السينما في القدس. لا أدري كيف تعرفنا إلى نظريات المخرج السوفياتي أيزنشتاين، فصرنا نحلل ما قاله عن التكوين بزوايا ٤٥ درجة للصورة. ولم نكف عن التنكيت والضحك، وصرنا نردد مقولة يوسف وهبة في أحد الأفلام: "شرف البنث زي عود الكبريت!"

أحد نشاطاتنا كان تصوير فيلم هزلي قصير عكس حالة الكبت التي عمّت مجتمعنا المحافظ المنافق إلى حد ما، والذي لم يتح لنا كثيراً من الفرص. أعتقد أنني كنت واضح السيناريو... هاني يقرأ الجريدة، فإذا بالصورة على الصفحة تتحول إلى صورة خلاعية تتحرك بين سطور الأنباء فيصاب القارئ بالدهشة والهلع! وفي أوائل الستينيات، حين كان اهتمام وسائل الإعلام الأميركية مركزاً على إرسال إنسان إلى

القمر بينما نحن في عالمنا العربي نسمع خطابات عبد الناصر ونعيش واقعاً مختلفاً تماماً، قمنا هاني وأنا بتسجيل شريط صوتي ساخر بلكنة عربية - أميركية عجيبة على غرار مقابلات راديو صوت أميركا، نناقش فيه موضوع إرسال القمامة إلى القمر! استهزأنا ومشاكل المراهقة العادية اختلطت بإحساس مضر بروعة فلسطين وجمالها... القدس وتاريخها، كنائسها وجوامعها - روعة المسجد الأقصى - وتقوى الحجاج إليها. حلمنا في عمل فيلم عن القدس لم يبقَ منه إلا رسمة لي لعثال يحمل ألواحاً من الخشب على ظهره، ينحل الحبل فيلتف على اللوح قبل سقوطه، وللحظة عابرة يصبح العتال ابن الإنسان السيد المسيح يحمل عذاب الناس، فالخشبтан صارتا بشكل صليب - كان ذلك قبل سنة من حرب ١٩٦٧ - ولوحة اسماعيل شموط "فلسطين على الصليب"، وقول محمود درويش في قصيدة بعنوان: "كتابة بالفحم المحترق": "ولكنني خارج من مسامير هذا الصليب لأبحث عن مصدر آخر للبروق"، ولوحة الزميل سليمان منصور الرائعة "جمل المحامل"، كأننا جميعاً نفهم أن عيسى ابن مريم الفلسطيني المولد وصلبه وقيامته في القدس هو رمز لشقاء البشرية ولا انتصارها على ذلك بالقيامة من الموت، بحسب اعتقادنا نحن معشر النصارى. ساعدني هاني في تصوير فيلم كان عبارة عن تجسيد لفكرة لي بصناعة "موسيقى منظورة": ألوان وأشكال تتلاعب على الشاشة بالإيقاع نفسه لموسيقى براندنبورغ لباخ. أخذت المشروع جدياً وحصلت على نوتات الموسيقى، لكن إمكاناتنا من أدوات لتنسيق مواكبة الألوان مع الموسيقى، لم تكن كافية لإتمام المشروع كما تصورت. وذات يوم أطلعت هاني على تركيبة من الكرتون والبلاستيك والخيوط صنعتها ورسمت عليها خطوطاً لشرح فكرة اختراعي الرسم المجسم، فابتسم هاني ونظر إليّ معاتباً وقال: "حرام عليك أن تبقى في هذا البلد." أذكر الآن

مرة أخرى تمتعت بزيارة بيت هاني الصغير  
الرحب، لكن للأسف لم نتمكن من إتمام الفيلم  
عن الأطفال، لكنني أشرفت على إصدار كتاب  
منى عن رسوم الأطفال، وبعثت بعض اللقطات  
لهاني.

عقب تركي وظيفة الأونروا في سنة ١٩٧٨  
كتبت نصاً مفصلاً بالإنجليزية لتصوراتي  
وأمالى لسينما فلسطينية تقدم قضيتنا إلى  
العالم.. نسخت ما في أرشيف الأونروا من خامة  
أفلام عن القدس، وعلى الرغم من قلة خبرتي،  
أنجزت فيلماً وثائقياً سمّيته "القدس"  
(Al-Quds)، وكان سرده بالإنجليزية، ووُزّع  
عالمياً، وحاز إعجاب غسان كنفاني وجبرا  
إبراهيم جبرا - على الرغم من نواقصه الكثيرة -  
لأنه كان من أوائل الأفلام الفلسطينية التي  
أنجزت بعد هزيمة ١٩٦٧. أخذت هذا الفيلم إلى  
عمّان وعرضته في قسم السينما التابع لوزارة  
الإعلام الأردنية بإشراف علي صيام، حيث كان  
هاني يعمل على إنتاج الجريدة السينمائية.  
شاهدوا فيلمي ثلاث مرات متتالية؛ وبعد انطلاق  
الثورة قام هاني ومصطفى أبو علي وزميلتهم  
المصورة سلافة جاد بالله بإنشاء قسم السينما  
لمنظمة "فتح". شاهدت فيلم "القدس" مؤخراً في  
"اليوتيوب"، وخجلت من مستواه الفني البدائي!  
في سنة ١٩٧٠ كانت الحرب الأهلية المؤسفة  
في الأردن قد بدأت، لكن كان عليّ زيارة عمّان  
لوداع أهلي قبيل هجرتي إلى اليابان. استضافنا  
هاني وجانيت في بيتهما في عمّان، وإن بمعركة  
ضارية تندلع بين قوات المقاومة والجيش وسط  
تبادل لإطلاق النار بغزارة. لم يكن في إمكاننا  
الرجوع في ذلك اليوم، وأمضينا الليل نسمع  
ونشاهد الرصاص يترك خطوطاً مرسومة في  
الفضاء بين الجبل المجاور ووراء حي هاني.  
خلال ذلك كان هاني "يروّح" عنا ويقول: بسيطة  
بسيطة، لكن في الصباح التالي قال إن  
الرصاص اقترب منا بشكل خطر.  
ودّعت الأهل والأصدقاء وسافرت إلى عالم  
آخر. حملت رسوم الأطفال وأقمت المعارض

بمرارة أن الشركات اليابانية التي عرضت عليها  
هذا المشروع قالت لي الشيء نفسه تقريباً: "خذ  
هذا الاختراع إلى أميركا!" بمعنى أنه إذا نجح  
هناك، ينقلونه في اليابان! لكن فاتتني الفرصة  
لأن جيل الكمبيوتر لحق بي وصار الرسم  
المجسم الرقمي شيئاً يتداوله الجميع، لكن ليس  
كما تصورت وعملت له.

عندما سمعت كيوكو أن أخي العزيز رياض  
طلب مني كتابة هذه الذكريات قالت لي: "أتذكر  
أن هاني كان ضد زواجك من أجنبية غير عربية،  
لكنه عندما التقى بنا ورأى انسجامنا ومحبتنا  
معاً غير رأيه!"

تمر الأعوام ويسافر هاني إلى مصر  
وبريطانيا للتخصص بالتصوير السينمائي.  
وصادف وقوع حرب ١٩٦٧ وجودي في  
بيروت حيث كنت أعمل في قسم الوسائل  
السمعية والبصرية التابع للأونروا كمساعد فني.  
كانت تلك الحرب واحتلال القدس صدمة كبيرة.  
في نهاية تلك السنة، تزوجت كيوكو الفتاة  
اليابانية الرائعة التي جاءت من طوكيو إلى  
بيروت على الرغم من أجواء الحرب، وسافرت إلى  
الأردن مع بعثة التصوير لتسجيل مآسي الحرب  
وأثرها في آلاف النازحين من فلسطين إلى  
مخيمات في الصحراء مثل البقعة ووادي ضليل.  
وسرعان ما اصطدمت بتناقضات قسم الوسائل  
السمعية والبصرية الذي أخرج أفلاماً تصوّر  
اللاجئين كمحتاجين مساكين بعيداً عن خلفيات  
الحرب، وعن رداث الفعل الثورية التي بدأت  
وقتذاك، فاستقلت من عملي هناك فجأة. ساعدت  
النخّات والمناضلة منى سعود في إخراج  
كتاب للرسوم التي رسمها أطفال مخيم البقعة،  
وقصص نزوحهم تحت قنابل إسرائيل، ثم شروع  
الفدائيين في تنفيذ عمليات المقاومة. سافرت  
مرة ثانية لزيارة المخيم بصحبة هاني لتصوير  
فيلم وثائقي عن الأطفال. كان الموسم شتاءً  
والبرد قارصاً وكانوا يرددون: "قتلتنا الصقعة  
في البقعة". وبينما كنت أسير مع هاني في  
الطين العميق ضاع حذائي!

والمقابلات في الراديو والتلفزيون لشرح قضيتنا في اليابان.

كنت أَسكن بيتاً ضيقاً في طوكيو يعجّ بما يلزم عائلتي الصغيرة، زوجتي وابنتين، فضلاً عن أدوات الرسم وأجهزة الرسم بالأبعاد الثلاثة التي اخترعتها وصنعتها بيدي. وذات يوم وصلتني بالبريد مجلة أرسلتها الزميلة الفنانة منى السعودي من دون رسالة أو تعليق. كانت "فلسطين الثورة"، المجلة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ ١٨ نيسان/أبريل ١٩٧٦، وعلى غلافها صورة هاني بعنوان "الكاميرا المقاتلة". رائع! لكن بعد تصفّح المجلة وقراءة مقالة تلو أخرى تتحدث عن هاني بخشوع وتقدير، اتضح القصة رويداً رويداً: هاني التحق بالفدائيين. ترك عمله كصاحب محل للتصوير، وترك بيته الذي أحبه في عمّان وفيه زوجته وطفلاه هبة وفخري... في بيروت عمل في قسم السينما التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، وفي ١١ نيسان/أبريل ١٩٧٦...

استشهد. أذكر تلك اللحظة، لحظة قاتمة صامتة أتذكرها إلى اليوم. وبعد ذلك جاء الغضب الشديد.. لا أدري لماذا حوّله إلى تلك الألعاب التي ألهمت نفسي بها في المنفى بينما كان هاني يعيش ويموت على أراضي الأوطان: قذفت بثلاث من أدوات الرسم الثلاثي الأبعاد الخشبية التي بنيتها بكل تأنٍّ ومحبة، وحطمتها في الزبالة!

بعد فترة هدأت مشاعري، وأنجزت رسمة ثلاثية الأبعاد عنوانها: "طبيعة صامتة فلسطينية" توسطتها مجلة "فلسطين الثورة" بهاني وكاميرته على غلافها، وتجمّع حولها كل ما كان في بيتنا من كنوز من فلسطين... جمال منحوتة من خشب الزيتون، وصينية مزينة مصنوعة من القش، وثوب فلسطيني مطرز. بعد ذلك، أو قبل ذلك بأشهر - لا أذكر كم تحديداً - سافرت مع كيوكو والبنات الصغيرات إلى الأردن بنية زيارة صيفية لرام الله رتبها والدي رحمه الله مع سلطات الاحتلال، لكنني



سلافة جاد الله وهاني جوهريّة يتناولان الطعام مع أفراد من الحرس الأردني الوطني في قرية الكرامة، في سنة ١٩٦٨.

ونعمنا بصدقتنا فيه، لا يزال حياً في وجداننا.  
الطفل الفلسطيني الذي قد يكون ولد لأبوين لم  
يطأ أرض الوطن يحلم بالتحريير والرجوع. بعد  
استشهاد هاني سُميت الشوارع وقاعات السينما  
باسمه. جميل!.. لكنني أتخيل كيف كان سيضحك  
طويلاً، وهو المتواضع أبداً، لو علم كيف انتهت  
مهزلة الحياة والتاريخ، وكيف ضاع وأُهين وطن  
بأكمله، بينما نحن نتفاخر بشوارع ودار سينما.  
رحمك الله يا هاني، كنت خير شباب البلد، ولن  
تنسك فلسطين ما دامت أجيال جديدة من  
السينمائيين الفلسطينيين مازالت تنمو... كلهم  
يعرفون إنجازك العظيم، وقصة تضحياتك  
الكبرى.

لا يسعني إلا أن أتذكر ما قاله المسيح بشأن  
الفداء... كلمات تنطبق على جميع من ضحوا  
بحياتهم من أجل وطنهم ووطننا فلسطين: "هذه  
هي وصيتي، أن تحبوا بعضكم بعضاً كما  
أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا: أن يضع  
أحد نفسه لأجل أحبائه" (إنجيل يوحنا،  
الإصحاح ١٥، الآيتان ١٢ و١٣).  
طوكيو ٣٠ تموز/يوليو ٢٠١٦. ■

اعتُقلت على الجسر، وأُخذت إلى القدس مكبلاً  
ومعصوب العينين في سيارة عسكرية إسرائيلية.  
وفي السجن تسلقت للنظر من نافذة ضيقة أعلى  
الزنزانة لأرى قدسنا الحبيبة لأول مرة بعد أعوام  
طويلة في المنفى - القدس التي كنا نتجول فيها  
هاني والأهل والأصدقاء من دون تفكير أو قلق..  
القدس بقببها ومآذنها وكنائسها سابعة في  
ضوء الفجر الوردي الجميل. سألوني في المعتقل  
عن نشاطي في مشروع رسوم الأطفال وما إلى  
ذلك، وبعد ثلاثة أيام أفرج عني، وذهبت إلى رام  
الله وبيت الطفولة في زيارة لثلاثة أشهر رُفض  
تمديدتها، وعدنا إلى طوكيو. أذكر أن هند وهبة  
زارتانا في رام الله، وكانت هبة تعاني ألماً في  
أسنانها. لا أذكر كيف كان حديثنا عن هاني..  
لكنني تذكرت وقتها ما قاله لي يوماً من أن النظر  
إلى طفلة هو أجمل شيء خبره في حياته. وكنت  
قد تذكرت كلماته تلك أيضاً عندما نظرت إلى  
ابنتي مريم حين ولدت في اليابان.  
تمر الأعوام والعقود والقرن والألفية..  
تواصل قليل مع أهل هاني. فلسطين بأسرها  
تحت احتلال مقيت. المصائب تتوالى على شعبها  
المناضل... لكن الوطن الذي عاش فيه هاني،

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

(القضية الفلسطينية / آفاق المستقبل - ٩)

النكبة الفلسطينية في الحيز العام الإسرائيلي

جذور الإنكار وذرائع المسؤولية

أمل جمال و سماح بصّول

١٦٣ صفحة ٨ دولارات